

# الرسالة وإصلاح الأزهر

للأستاذ محمد رجب البيومي

محمد ، إلا إذا تمكن منهما تمكن الجاحظ ومحمد عبده  
وغيرهما من أئمة الأدب والدين <sup>(١)</sup> ، وإذا كان الأزهر قائد  
الدعوة إلى الإسلام فهو يلتقي بالرسالة في حلقة البأس  
وميدان الجهاد

وأنت تتصفح أعداد الرسالة في سنواتها العشرين فلا  
تكاد نجد سنة تمر دون أن تثار على صفحاتها معركة  
الأزهر والإصلاح . ولو أن باحثا عكف على دراسة هذه  
البحوث الخاصة بالأزهر ، لأمكنه أن يقدم - على ضوءها  
البصير - لولاة الأمر في مصر ، دستورا دقيقا للإصلاح  
الأزهرى المأمول ، قد اشتركت في تنفيذ عقول ممتازة ،  
وأقلام حرة جريئة . والرسالة بعد أحفل الصحف الأدبية  
في الشرق آثار أديب الأزهر وشعرائه ، ولا يحلو عدد من  
أعدادها التي تربو على الألف رغم تنوع مشاربها ، واختلاف  
مناحيها ، من أقلام أزهرية تعالج شؤون الأدب والدين  
والتاريخ ، مما يشهد بأزهارها الواضح في تنشيط العقل  
الأزهرى وتوجيهه

وإذا كانت آراء الكتاب قد اختلفت قريبا وبمدا في  
توجيه الإصلاح الأزهرى على صفحات الرسالة ، فإن  
صاحبها الكبير قد وضع للمشكلة الأزهرية حلولا مختلفة ،  
أخذت تبلور وتفضح ، حتى اجتمعت أخيرا في حل حاسم  
جهر به ودعا إليه ، وكان لحواله المختلفة - في سنواتها  
المتفرقة - صداها القوي المجلجل ، فقد تناهت عنها الكتاب  
بالتقد والتعليق ، ودفعت كثيرا من الأقلام إلى المعارضة  
والتأييد ، وستعرض اليوم موجزا دقيقا لهذه الحلول ، ليلم  
بها القارىء في أضيق نطاق ، وله أن يرجع إلى أعداد الرسالة  
السابقة إن أراد الإسهاب والتفصيل

لقد بدأ الأستاذ الزيات نجدد رسالة الأزهر ، ووجهها  
إلى ثلاثة مناح <sup>(٢)</sup>

كتبت بالعدد المتناز الماضى كلمة موجزة عن أثر  
الرسالة - مدى سنواتها العشرين - في العالم العربى أدبيا  
 واجتماعيا ودينيا ، وكان من الحتم الأكد حينذاك أن  
أوضح ما قامت به من جهود في إصلاح الأزهر ، فهو معقل  
الإسلام ، ومنازة الأدب ، وموئل الروبة ، غير أنى أردت  
أن أفرد لذلك مقالا خاصا ، إذ أن الحديث عن هذا الموضوع  
المتشعب يحتاج إلى بعض التفصيل

والحق أن الرسالة وقد أنشأها صاحبها لإيقاظ الوعى  
الأدى ، وبث الروح الإسلامى ، وإحياء المجد العربى ،  
كانت ترى الأزهر حقل خصيبا لتنمية ما ترمى إليه من  
غايات ، فهو أفصح ميدان لتربية الشباب المسلم ، المتمز  
بأرومته المريقة ، وتقاليده الكريمة ، ودينه الأصيل ، وهو  
عدو الاحتلال الجائهم على ربوع الشرق الإسلامى ، يناوئه  
بإصلاح الدين ، ويهدمه بمعاول الأدب ، ويفزوه بمنطق  
الثقافة ، ويزججه بإذكاء الحمية والنيرة والإباء ، فى النفوس ،  
فلا بد لمصلحين أن يساهموا فى بنائه الراسخ ، ليستكمل  
أداة التعليم ، ويسير حاجة العصر ، وإذ ذلك ينهض  
بالشرق - كما يقول الأستاذ الزيات - نهضة أصيلة حرة  
تنشأ من قراء ، وتقوم على مبادئ ، وتتبدل فى أصلها !

وهناك صلة قوية ثابتة بين الرسالة والأزهر ، فالرسالة  
وهى فى جوهرها صحيفة الأدب العربى الأصيل ، ترى  
« أن الدين الإسلامى يتفرد عن سائر الأديان باعتماد دعوته  
على الأدب ، وقيام معجزته على البلاغة ، والدين الإسلامى  
والأدب العربى متلازمان تلازم المعنى واللاظ والفكر  
والأداء ، ولا يتسنى لرجل الهداية والإصلاح أن يلمغ دعوة

(١) الرسالة ٢٢ إبريل سنة ١٩٤٠ للأستاذ الزيات

(٢) الرسالة ٢٧ مارس سنة ١٩٣٩

الأستاذ المرافي كان يتتلمذ مشيخة الأزهر ، وفي وسعه أن يرتفع به إلى الأوج ، لو خلصت النية ، وصحت المزمعة ، فقد عند الشباب الأزهرى على جهوده المرتقبة ، آمالا واسعة عريضة ، واندفع الشباب والشيوخ - إلا قليلا - يؤيد حركة البعث في الصحف والمجلات ، ورة رأى الأستاذ الزيات أن الفرصة مواتية لحركة الإصلاح فنصح لها في صحيفته مكانا طيبا ، واندفع مرة أخرى يحمل ، ويعلل ، ويمهد أسباب الثوب والتقدم والاستقرار ، وقد نلخص علاجه في أمرين اثنين ينهضان بالأزهر الحديث ، وينقذانه مما يتكادده من التقاليد البالية ، والجلود الميتة ، هذان الأمران هما : إعداد العلم وتأليف الكتاب

والعلم كما يقول صاحب الرسالة (٢) لا بد أن يكون متمكنا في علوم الدين وصاحب ملكة في الفقه ، وأن يكون متبحرا في فنون العربية ، وصاحب قريحة في الأدب ، وأن يأخذ بمد هذا وهذا من ثقافة الغرب بأوفر نصيب . أما الكتاب فلا يتيسر إلا بعد إعداد العلم ، لأنه هو وحده الذى يدرى كيف يؤلفه ويدرسه « ومتى توفر للأزهر العلم والكتاب في ظل هذه الإدارة البصيرة ، صح لك أن تقول إن مصر ظفرت بجامعتها المحيضة التي تدخل المدينة الغربية في الإسلام ، وتجمل الحضارة الشرقية للغرب ، وتعنى الدين من شوائب البدع والشبه والركاكة والمجعة »

ثم مضت الأيام خلف الأيام !! والأزهر على حالته الراهنة لا يأخذ بإصلاح ولا ينهض إلى رسالة . ومن الإنصاف للتاريخ أن تقول إن الأستاذ المرافي قد نحى بالأزهر في هذه الآونة ناحية عصفت بأماله ، وبددت شمله ، فقد اندفع به التيار الحزبي البنيض لينصر فريقا على فريق ! ولم يلتفت إلى إصلاحه وتوجيهه ، بمد أن عنفت عليه الآمال ، وامتدت إليه الأعناق ، وأصبح الشباب الأزهرى المتوثب إلى الرق والنهضة حائرا لا يجد من يأخذ بناصره ،

(١) تنقية الإسلام من العقائد الواغلة ، والمذاهب الباطلة ، والمعادن الدخيلة ، وسبيل ذلك ما يأتي :

(أ) تفسير القرآن على هدى الرواية الصحيحة ، وفي ضوء العلم الصحيح ، تفهيرا يجمع ماصح من أقوال السلف وماصلح من أقوال الخلف

(ب) تأليف كتاب يجمع ما لا ريب فيه من أحاديث الرسول ، ويستمان على شرحه وتبويبه بعلوم التاريخ والفلسفة والاجتماع

(ج) تصنيف كتاب شامل للمذاهب الفقهية الصحيحة ، فيوضع متنه مواد كالتقانون ، ثم يشرح شرحا يستوعب الأصول والفروع ( على أن تكون هذه الكتب الثلاثة مادة الدراسة ، ومصدر الفتوى ، ومرجع القضاء )

(٢) إعداد الوعاظ والدعاة في الشرق الإسلامى من أهل اللسان والخلق والدم وسبيل ذلك ما يأتي :

(١) إعدادهم بالثقافة الحديثة واللغات الحية فوق التكون الأزهرى

(ب) إيفادهم إلى الأمم الإسلامية البعيدة عن مواطن العروبة ومهبط الوحي

(ج) العناية اليقظة بالبعثات الإسلامية في الأزهر ، فأصحابها أقدر على إرشاد قومهم باللثة والتدوية والنفوذ

(٣) جعل اللثة العربية لثة المسلمين كافة ، فيكون لكل مسلم في الأرض لثتان ، لثة لوطنه الأصغر ، ولثة لوطنه الأكبر . وسبيل ذلك :

(١) أن نحمل مشيخة الأزهر أقطاب الرأى في البلاد الإسلامية بالفاوضة والانتثار على أن يجملوا تم اللثة العربية لإجباريا في مراحل التعليم المختلفة (ب) أن تتكفل بإرسال المعلمين من التخصصين بالأزهر ليضطلوا بهذه الرسالة

هذه هي رسالة الأزهر كما حددها الأستاذ الزيات ، وقد كان الظنون أن هذه الجامعة العربية ستتمى إلى تحقيقها ، وتم لها الهيمنة الروحية على العالم الإسلامى ، وخاصة أن

ومعارض ، وقد هاجمه من كبار رجال الأزهر المغفور له الأستاذ النمراوى بمجلة الرسالة<sup>(٦)</sup> مهاجمة خطابية عاطفية ، كما عارضه الأستاذ محمد عبد اللطيف دراز وكيل الأزهر الآن بمجلة رسالة الإسلام<sup>(٧)</sup> معارضة تقوم على الرفض والإنكار ، دون أن تحلل البواعث الشائبة ، والأسباب المقننة . وأدلى غيرها كأستاذ العقاد<sup>(٨)</sup> والشبح الدقى<sup>(٩)</sup> بآراء تتفق وتختلف ، وتلين وتشد . وتتلخص اعتراضات المعارضين في شبه يديرة أوجد لها الأستاذ الزيات ما يلزم من الحلول والتنفيذ

فهنالك من يقول إن المواد المدنية على نهجها المعروف بمدارس الوزارة ستطغى على المواد الدينية . وهناك ثان يقول إن تحفظ القرآن الكريم لا يمكن أن يتم على وجه الأكل ، إذا كان التسم الابتدائى عاما للجميع . وهناك ثلث يقول إن هذا الاقتراح سيحرم الطالب ست سنوات كان يقضيها في دراسة اللثة والدين . ورابع يرى أن الاعتماد على الشهادة الابتدائية العامة ، في تنفيذ الأقسام الثانوية الأزهرية ، يمرضها للهزال والجذب ، لانصراف التلاميذ عنها إلى المدارس الأخرى !!

هذه هي الاعتراضات الموجهة إلى الاقتراح . وقد أجاب عنها الأستاذ الزيات إجابة شافية بالرسالة<sup>(١٠)</sup> ، فبين أولا أنه لا خوف من طغيان المواد المدنية على غيرها ما دام الوقت متسما ، والأستاذ كفوفا ، والكتاب مهذبا . وبين ثانيا أن القرآن الكريم يمكن أن يحفظ بسهولة إذا فرضته إدارة الأزهر على كل طالب في كل سنة من سنى الدراسة في المدارس الأزهرية الثانوية . وأوضح ثالثا أن المعاهد الدينية التى ستصير مدارس ثانوية ستظل

ويتولى زمام أمره ، سوى أفراد من رجاله لا يملكون غير الخطب والقالات ، بل إنه وجد من يفت في عضده ويثبط همته ، « من شيوخ غاية أمرهم أن يتزوا بالورع<sup>(١١)</sup> ويتفهموا في العلوم ، بتشويق الجمل ، وتوليد الألفاظ ، وتعميد الفروض » وما زال الفساد السياسى من جهة ، والمعبية المهدية بين الأزهر والجامعة من جهة أخرى يهشان في هذا المهد التليد ، ويفرقان أبناء الثقافة الواحدة شيما وأحزابا ، حتى تأكد المفكرون أن الأزهر لا يستطيع أن يصلح نفسه بنفسه ، وأنه محتاج إلى خلق جديد ، وسيطرة خارجية ، ترقمه عن النزوات الشخصية ، والإقاف الحزبى ، وتعود به إلى حظيرة الدرس والفضيلة والتشريف ، لذلك قام الأستاذ الزيات بدعوة حريثة إلى إصلاح الأزهر ، فتقدم على صفحات الرسالة<sup>(١٢)</sup> باقتراح حاسم يتضمن ما يلى :

١ - أن يلقى التعليم الابتدائى من جميع المعاهد الدينية ، ليلقى بمنايلده إلى وزارة المعارف فتقسمه على الوجه الذى تراه ، وذلك بدء الوحدة الثقافية

٢ - أن تتحول المعاهد الثانوية الدينية إلى مدارس ثانوية لحاملى الشهادات الابتدائية العامة ، وتعلم فيها الرياضيات والعلوم وفق منهج الوزارة ، وفي أول السنة الثالثة يتجه طلابها أبحاهين مختلفين : إما إلى الدين وعلومه ، أو إلى اللثة وفتونها ، فإذا اقتضت السنوات الخمس تقدم طلاب الشميتين إلى امتحان الشهادة الثانوية مع سائر إخوانهم في جميع المدارس ، يتتحنون معهم فيما يتفقون فيه ، وينفردون أفرادا شعب التوجيهية فيما اختصروا به

٣ - أن يقتصر في التعليم الجامعى بالأزهر على كليتين اثنتين : كلية الدين وتشتمل كليتى الشريعة والأصول ، وكلية اللثة وتشتمل كلية اللثة العربية ودار العلوم

وقد أثار هذا الاقتراح جدلا كبيرا بين الأقسام ما بين مؤيد

(٦) الرسالة ٦ مايو سنة ١٩٤٦ وما بعدها

(٧) رسالة الإسلام السنة الثانية العدد الرابع أكتوبر سنة ١٩٥٠

(٨) الرسالة ١٥ إبريل سنة ١٩٤٦

(٩) الرسالة ٢٩ إبريل سنة ١٩٤٦ وما بعدها

(١٠) الرسالة ٦ مايو سنة ١٩٤٦ م

(١١) الرسالة أول إبريل سنة ١٩٤٠

(١٢) الرسالة ٨ إبريل سنة ١٩٤٦

الأزهر فأكثر رجال التربية والتعليم يضجون من الثنائية الحقاء ، التي تبعد وحدة الثقافة بين أبناء الأمة الواحدة . وقد دعا وزير المعارف الأستاذ إسماعيل محمود القبانى فى كتابه الذى أصدره أخيراً عن سياسة التعليم إلى توحيد الثقافة ، وتحويل المعاهد الأزهرية إلى مدارس ابتدائية وثانوية ، لتتم الوحدة الثقافية فى وادى النيل ، وأنا أرى أن السبيل ميسر إلى ذلك كل التيسير ، إذ أن مدرسى اللثة العربية والدين - وهم أكثرية - فى مدارس الوزارة من الأزهرين ، كما أن مدرسى المواد المدنية فى المعاهد الدينية من رجال التعليم بالوزارة ، فلم يبق إلا أن تتحد البرامج وتتفق المناهج . وإذا كانت عناية المدارس الآن باللثة العربية والدين الإسلامى واهنة ضئيفة ، فلنشد أزرها شداً قويا متواصلا ، ليكون جميع التلاميذ متقنين فى دينهم ولقنهم دون تمييز بين فريق وفريق وأخيراً .. هل من سميع !؟

محمد رجب البوسى

## الإنسان بين المادية والإسلام

لأستاذ محمد قطب

أول بحث علمى يتناول الموازنة بين نظريات الماديين عن الإنسان ونظريات الإسلام من الناحية العلمية

يقع فى ثلاثمائة صفحة من القطع الكبير الثمن أربعون قرشا

يطلب من الناشر دار إحياء الكتب العربية عسى اليابى الحامى وشركاه ومن المكتبات

تابعة للأزهر ، خاضعة لإدارته ، فله أن يفرض عليها ماشاء من الدراسات الدينية . كما بين أخيراً أن الاقتراح يقصر وظائف تدريس اللثة العربية والدين والأدب فى جميع مدارس الأمة على الأزهر ، فكل من يرغب فى ممارسة أمر من هذه الأمور يجب أن يدخل الأقسام الثانوية الأزهرية ، ليحقق رغبته ؛ ولن يتعرض بعد ذلك للهزال والجلب .

وإذا كان صاحب الرسالة قد تقدم باقتراحه منذ سبع سنوات قبل أن تم المجانية التعليم الثانوى بالمدارس ، فإننا نرى أن الواقع الملموس بعد تميم المجانية يدوم معارضى الاقتراح إلى النظر فيه من جديد نظرة عملية ، إذ أن الأزهر بمجانبة التعليم قد تعرض إلى زلزلة عنيفة صرفت عنه كثيراً من الطلاب ، وأصبح يتسامح فى شروط الالتساب تسامحا جهله لا يدقق فى حفظ القرآن جميعه ، بله السن والقواعد الأولية للملومات . ولئن وجد فى العامين الماضيين من توجه إليه ممن استعدوا لدخوله منذ طفولتهم الباكورة ، فإنه لن يجد بعد ذلك من يسارع إليه ، إلا إذا منح ميزات كثيرة تبرر تفضيله على المدارس فى نظر أولياء الأمور ، وهيات أن يكون ذلك ، وهو بوضه الراهن بعيد كل البعد عن الثقافة الحديثة ، واللغات الحية ، التى تفتح أبواب المستقبل ونوافذ الأمل للشباب

على أن كثيراً من أساتذة الأزهر ورجاله يشاركون الزيات رأيه بكل قوة ونمضيد . وأذكر أن الأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى قد كتب مقالا حازا بالأهوام ( صيف سنة ١٩٥٠ ) يقترح فيه ما سبق أن اقترحت الرسالة بشأن الأزهر ، ففتح مجالاً كبيراً للمناقشة ونقلت جريدة الأهوام سيلاً من النأييد والمعارضة يوحى بالاهتمام والتقدير ، بل إن الدكتور محمد يوسف موسى قد أعلن رأيه هذا فى مجلة الأزهر<sup>(١١)</sup> ، وهى الصحيفة الرسمية للأزهرين ، فلم يتر اعتراض الشيوخ آنذاك ، أما خارج

(١١) مجلة الأزهر : المحرم سنة ١٣٧٠ هـ